قانون الدويني

القضية الأخيرة

info@darak-eg.com
02 24832669-010 27251915
51 ب شارع النزهة – من امتداد رمسيس – القاهرة.
جميع حقوق الطبع والتوزيع محفوظة للناشر.

قانون الدويني
شريف سالم
تصميم الغلاف: أسامة علام
تدقيق لغـوي- تنسيق داخلي:
www.sekoon.com

رقم الإيداع: 2018/22339
الترقيم الدولي: 978-977-6634-13-8
الطبعة الأولى: 2019

شريف سالم

قانون الدويني

القضية الأخيرة

رواية

البشر ثلاثة أنواع:

النادرون.. هؤلاء من سيتشبثون بإيمانهم إلى النهاية.

النادمون.. الذين يلعقون تراب الأرض خلف شهواتهم حتى الكفن.

المترددون.. في نار الدنيا وأول من سيقفون على باب نار الآخرة.

من الصعب أن تكون قاضيًا..

أعلم ذلك عن ظهر قلب، والدي كان قاضيًا ووالده كذلك، أن تعيش وسط كل تلك القواعد ليل نهار، مع الوقت تبني أسوارًا لخيال عقلك، ويصبح قلبك لا شيء سوى مضخة للدم، تحتاج لأن تتجرد من كل صفات الانحياز، تلك الصفات التي تجعلنا بشرًا في الأساس، أن تكون بشرًا هو أن تؤمن وتعتقد وتنحاز، كل هذا لا يعطي الشفافية المطلوبة لحُكمٍ عادلٍ، أو.. هكذا تعلمت، هذا ما كبرت عليه..

لا أعرف شيئًا آخر!

القضية التي سوف تقرأها الآن ليس لها حكم عادل، ليس لمشكلة في الأدلة أو الإجراءات، وبالطبع ليس للخوف من ظُلم أحدٍ أطراف القضية، أعرف أنني بوظيفة مثل تلك، أراهن مستقبلًا على آخرتي برمية نرد، اثنان لواحد ، ولكن .. أسوأ أنواع القضايا تلك التي تلتف بها المشاعر لتحاول تقييد القوانين، أن تكون إنسانًا عند نطق الحكم، لا قاضيًا، كل هذا لن يمنع النهاية؛ أنك ستقول حكمك، ولن يكون عادلًا، وأنت تعرف ذلك، ولكنك ستعيش بلا أي ندمٍ، أو هذا ما سوف تقنع به نفسك، فقط ردِّد داخلك: أنا فعلت ما هو صحيح، أنا راضٍ.

الفصل الأول

مطرقة الدويني

لا تنخـدع بمـا تـراه عينـاك، الـبراءة ليـس لهـا شـكل، ولا الإثـم، نحـن فاسـدون في عيـونٍ، وصالحـون في أخـرى، وجميعنـا أشرارٌ في روايـة أحدهـم.

قاعة المحكمة

يجلس عزت الدويني على كرسي القاضي في ملٍ وهو ينظر إلى القاعة والموجودين بلا مبالاة.

لا شيءَ جديدٌ، نفس الحوائط الرمادية التي تهلهلت من محاولات إعادة دهانها، لون الخشب البني المقزز الذي يملأ كل أثاث القاعة، من المنصة وكراسي القاعة والفواصل، أغلب الأمر عندما تدخل مبنى قديم فتشم رائحة شيءٍ من تاريخ تشع كالنور في المكان، أما هنا فلا، بالرغم من ثراء المؤسسة القضائية إلا أنها ارتضت بدهان هذا الخشب من فترة لأخرى بنوعٍ رخيصٍ من الدهانات، هذا النوع الذي إذا اقتربتَ منه وشممته تشعر كأنك دُهنت به.

محامٍ شاب ساذج يقف أمام المنصة، كلهم يحاولون تقليد أحمد زكي في فيلم ضد الحكومة، يدافعون عن الحق في غير محلِّه، كالعادة يكون الهدف هو الشهرة أو شيء من سمعة لتوفر له زبائن جُددًا، ولمَ لا وقضية اليوم شيقة برغم أنها خاسرةٌ، ولكن يبدو أن لا شيء شيق أو مثير لـ «عزت».

مواطن مصري يدعى سمير محروس ابنه ذو العشر سنوات يصاب في حادث فيذهب به إلى أقرب مستشفى، ولسوء الحظ تكون مستشفى خاصة ومحترمة وشهيرة، ترفض المستشفى عمل أي شيء قبل أن يضع

عـدة آلاف مـن الجنيهـات في الخزينـة، المواطـن لا يملكهـا فيلجـأ إلى طلـب الإسـعاف لنقلـه إلى مستشـفى أخـرى، وكـما نعلـم في مـصر إن لم يكـن بـطءُ ومماطلــة كل موظفــي الجمهوريــة حائــلاً؛ فزحــام المدينــة كافٍ، وترفــض المستشـفى عمـل شيء نظـرًا لأن المريـض يحتـاج إلى جراحـة، فقـط بعـض الإسـعافات التـي تجعلـه يعيـش لسـاعات قادمـة، فيقـرر المواطـن إجبـار المستشـفى عـلى عمـل العمليـة اللازمـة برفـع سـكين عـلى موظفـة الاسـتقبال وحجزهـا في غرفـة حتـى يقومـوا بعمـل العمليـة لابنـه الـذي يمـوت، ينجـح في إقناعهـم بتلـك الطريقـة بعـد مفاوضـات، يقومـون بالعمليـة ويتـم إنقـاذ حيـاة ابنـه، ويسـلم هـذا البائـس نفسـه إلى الشُّرطـة، طبعًـا حتـى لا يتكـرر مثـل هـذا الموقـف، قـررت المستشـفى أن تسـلخ هـذا الغلبـان أمـام الجميـع، أن ترفـع عليـه كل القضايـا وتتهمـه كل الاتهامـات الموجـودة، ووكلـت مستشـارها القانـوني للانتصـار للقضيـة.

في عـالمٍ آخـر أو روايـة شـيقة، كان هنـاك مـن سـيتعامل مـع تلـك القضيـة بإنسـانية لتتنـازل المستشـفى أو يخـرج ثـري ليسـاعد الرجـل في الخـروج مـن محنتـه وترضيـة المتضرريـن.

ولكن عزت الدويني شيء مختلف نوعا ما.

بينـما هـذا السـاذج الشـاب الـذي يحـاول اسـتجداء المحكمـة بعـين العطـف عـلى هـذا المسـكين الـذي اضطرتـه الظـروف لسـلوكٍ غـيرِ قانـوني إنقـاذًا لفلـذة كبـده، وكل أبيـات الشـعر والآيـات القرآنيـة التـي اسـتخدمها، في الوقـت الـذي سـوف ينهـي فيـه الخطبـة شـديدة البلاغـة، سـيحكم عـزت عـلى الرجـل بحكـم مُشـدَّدٍ سـيجعل اللقـاء الثـاني بينـه وبـين ابنـه الـذي أنقـذه في ليلـة فرحـه مثـلًا.

كان عـزت قـد قـرأ القضيـة أمـس جيـدًا واتخـذ حكمـه، كل مـا يحـدث

أمامه هو مشهد متمِّم في الفيلم، حتى يشعر المتهم بقليلٍ من الأمل، ويشعر أهله أن المحامي الذي دفعوا له حاول أن يفعل شيئًا.

- في النهاية أترك الأمر بين يدي سيادتكم.

- شكرًا، الحكم بعد المداولة.

يخرج عزت وزملاؤه من المحكمة إلى غرفة القاضي سويًا خلف المنصة، يدخلون الغرفة ويجلس ثلاثتهم، ينظر عزت إلى أحدهما:

- عزت بيه الحكم معاك.

- وسيادتك يا أكرم بيه؟

يضع أكرم يده في جيبه ويخرج هاتفه ويفتحه دون أن ينظر إلى عزت.

- هخلص دور كاندي كراش واقف معايا بقاله أسبوع.

- ربنا يكون في عون سيادتك.

يجلس عزت إلى مكتبه ويقلب في الأوراق وهو ينظر إلى زميله الثالث وهو يمسك هاتفه ويشاهد شيئًا به هو الآخر. بعد قليل يخرجون من الغرفة إلى قاعة المحكمة.

- محكمة..

يقف الحاضرون جميعًا، وبعد جلوس هيئة المحكمة يجلس الجميع. ينظر عزت إلى القاعة، كثير من العيون تملأها الكثير من المشاعر، التي على وشك أن تنهار جميعها.

- حكمت المحكمة على المتهم سمير محروس الشيخ بالسجن المشدَّد عشر سنوات في التُّهَم الموجهة إليه، رُفِعَت الجلسة.

لم يكن ينظر إلى القاعة ليشاهد البكاء والصراخ وانهيار المتهم وكل تلك المشاهد التي تعبر عن الفاجعة التي ضربت أسرة في مقتل، لم يكن ينظر حتى لا يشعر بالتعاطف، بل لأن لقاء عينيه بأعين اللوم والحزن تجعله لا يرتاح في شرب فنجان القهوة الذي يعد له الآن حتى يجده جاهزًا عندما يخرج من القاعة بعد نطقه بالحكم، ليس ذنب فنجان القهوة أن يبرد لأجل مذنب يطمع في معجزة ما في هذا العصر.

يخرج ليجلس إلى مكتبه، بينما يرحل زملاؤه المستشارون ليجلس قليلًا يستمتع بفنجان قهوة بعد أن يطفئ نور الغرفة، قليلًا من الهدوء، ثم ينزل إلى موقف سيارات المحكمة، يركب سيارته **Audi** حديثة الموديل، وينطلق في طريقه عائدًا إلى المنزل.

مَن هو عزت؟

قاضي في أوائل الأربعينيات، مُطلَّق، ويعيش وحيدًا في منزله بالمعادي، أنجب من زوجته السابقة ابنًا يدعى كريم 15 سنة، يعيش مع والدته وزوجها بالتجمع الخامس، طويل القامة وقوي البنية، وجهه صلب وحاد الملامح بشارب رفيع يجعل شكله كلاسيكيًّا كأحمد مظهر، الابتسامة الحقيقية زائر غير مُحبَّب إلى تجاعيده القليلة وشفتيه، بينما السخرية هي غالبُ حواره، يملك من الهدوء ضِعف ما يملكه الموت، مما يوضح لماذا هو مطلَّق، فتلك مواصفات الزواج من جثة، لا امرأة من لحم ودم، ولكن التفاصيل تأتي.

ساعة تفصله من المحكمة إلى البيت في اليوم العادي شبه المزدحم، يصل ويصعد إلى شقته في الدور الثاني في عمارة بأحد شوارع المعادي الضيقة التي أغلب سكانها من الأجانب، يدخل إلى منزل ويضع حقيبته

الجلديـة، يخلـع معطفـه وحـذاءه ثـم يمسـك هاتفـه المحمـول ليطلـب رقـمًا مسـجلاً لديـه.

- آلو.

- مساء الخير يا شيرين.

- مساء النور.

- بكرة أعدّي عليكوا الساعة واحدة؟

- مفيش مشاكل.

- كريم في البيت؟

- لا هو دلوقتي في التمرين.

- خلاص بلغيه إني بكرة أعدي عليه بعد الصلاة.

- هتروحوا فين؟

- النادي كالعادة.

- حاضر هيكون جاهز إن شاء الله.

- كويس، سلام عليكم.

- وعليكم السلام.

يغلق الاتصال ثم يعاود الاتصال برقمٍ آخر.

- باشا.

- إزيك يا مكرَم بيه؟

- الحمد لله.

- هشوفك على القهوة الليلة؟

- أكييد، واحنا ورانا حاجة تاني؟!

- خلاص، على الساعة 8 كدا.

- أوامر سعادتك.

- سلام.

يغلق الاتصال، يدخل إلى غرفة النوم ليرتدي ملابسه المنزلية المريحة، يذهب إلى المطبخ ليفتح أحد درفه ويُخرِج زجاجة فودكا، يخرج كوبًا ويضع به ثلاث قطع من ثلجٍ ويذهب بهم إلى الصالة ليجلس على الأريكة ويصب الكوب حتى نصفه، يأخذ رشفة وهو يُمدِّد جسده ليريحه بينما يتساءل أين يمكنه أن يمدد عقله للراحة، متى يصل إلى سِنِّ المعاش حتى ينتهي من هذا الهراء اليومي، تلك القضايا المملة والمكررة، ألن يمل البشر ويأخذوا إجازة من القتل والسرقة والنصب؟! لماذا ليس هناك يومٌ عالمي للثبات؟! يوم يستكمل البشر نومهم إلى نهايته بدلًا من الاستيقاظ ليطاردوا بعضهم البعض، على المال والنساء والأولاد، تلك الدائرة التي لن تنتهي حتى تنتهي الحياة، أن تكون قاضيًا هو أن تكون حَكَمًا في مباراة يخسر كل أطرافها، أن ترى الحق ولا تستطيع إنصافه لعدم اكتمال الأدلة أو تأخُّرها، وأن تحكم للباطل بالانتصار تحت آية قرآنية تُقِرُّ بالعدل بين الناس!

يستكمل الكأس إلى آخره ويغمض عينيه، ليذهب في غفوة تتحول إلى سبات النوم.

***